



المُشكَّلهُ فِي بَعْضِ العَيْنَاتِ المُخَادِعَةِ الَّتِي تَسْتَقِلُّ هَذِهِ الظَّاهِرَةَ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ، وَقَدْ نَبَّهَ القُرْآنُ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُتَاجِرُونَ بِاسْمِ الدِّينِ، قَالَ تَعَالَى: (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ الكَلْبِ إِنْ تَحْمَلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ❑ ذَلِكَ مِثْلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ❑ فَاقْصُصِ القِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (176 المائدة)، وَكَذَلِكَ نَجِدُ القُرْآنَ قَدْ فَصَّلَ قِصَّةَ السَّامِرِيِّ الَّذِي وَصَلَ إِلَى مُسْتَوَى أَصْبَحَ مَصْدَرًا لِجَذَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَنَّهُ اسْتَعْلَلَ ذَلِكَ بِشَكْلِ سَلْبِيٍّ عِنْدَمَا دَعَاهُمْ لِعبَادَةِ العِجْلِ، قَالَ تَعَالَى: (قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ) (95) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّيْتُ لِي نَفْسِي) (96 طه). وَبِذَلِكَ يُمَكِّنُنَا القَوْلُ إِنَّ الإِسْلَامَ يُنَبِّهُ أَتْبَاعَهُ مِنَ الاسْتِغْلَالِ السَّيِّئِ لِهَذِهِ السُّلْطَةِ الدِّينِيَّةِ، وَمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ الإِشْكَالِ مِنْ اسْتِثْنَاءِ أَعْضَاءِ الكَنِيسَةِ فِي نِيو مَكْسِيكو مِنْ قَانُونٍ يَمْنَعُ تَنَاوُلَ عَقَارِ الهَلُوسَةِ يُعَدُّ نَمُودَجًا سَيِّئًا فِي اسْتِخْدَامِ هَذِهِ السُّلْطَةِ لَيْسَ إِلَّا، وَلَا يَصِحُّ كَدَلِيلٌ لِضَرْبِ أَصْلِ ظَاهِرَةِ الإِنْجِذَابِ لِلسُّلْطَةِ الرُّوحِيَّةِ.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الصُّورَةَ المُشَوَّهَةَ الَّتِي وَجِدَتْ مِنْ وَاقِعِ المُتَدَيِّنِينَ لَيْسَتْ تَمَثِيلًا دَقِيقًا عَنِ الدِّينِ، فَلَا تَكُونُ تَبْرِيرًا كَافِيًا لِلتَّنَكُّرِ لِلأَدْيَانِ وَالكُفْرِ بِهَا، وَعَلَيْهِ إِذَا تَتَبَعْنَا مَا تَمَسَّكَتْ بِهِ التِّيَّارَاتُ اللَّادِينِيَّةُ فِي رَفْضِهَا لِلدِّينِ، لَوَجَدْنَاهَا تَصَوُّرَاتٍ إِنْسَانِيَّةً قَاصِرَةً تَضَافَرَتْ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَسْبَابِ فِي تَكْوِينِهَا، فَالإِشْكَالِيَّةُ هِيَ إِشْكَالِيَّةُ إِنْسَانٍ وَلَيْسَتْ إِشْكَالِيَّةُ أَدْيَانٍ، وَالإِنْسَانُ بِهَذِهِ التَّرْكِيبَةِ المُعَقَّدَةِ جِدًّا وَالمُتَأَثِّرَةِ بِالبِيئَةِ، وَالتَّرْبِيَّةِ، وَالحَالَةِ النَّفْسِيَّةِ، وَالمُحِيطِ السِّيَاسِيِّ، وَالاِقْتِصَادِيِّ، وَالاِجْتِمَاعِيِّ لَا يُقَارِبُ الأَشْيَاءَ بِصِرَامَةِ المَنْهَجِ المَوْضُوعِيِّ، وَإِنَّمَا يُقَارِبُهَا بِمَا يَنْسَجِمُ مَعَ ظَرْفِهِ وَنَفْسِيَّتِهِ وَمَمْلَحَتِهِ، فَلَا يَرَى الحَقَائِقَ كَمَا هِيَ، وَإِنَّمَا يَرَاهَا بِالشَّكْلِ الَّذِي يُحِبُّ هُوَ أَنْ يَرَاهُ، وَمِنْ هُنَا لَا أَتَصَوَّرُ أَنَّ هُنَاكَ دِينًا سَمَاوِيًّا لَمْ يَأْمُرْ أَتْبَاعَهُ بِتَهْذِيبِ النَفْسِ، وَتَوَخُّي الحَقِّ، وَالتَّوَاضُعِ وَعَدَمِ اسْتِغْلَالِ مَشَاعِرِ النَّاسِ، فَالتَّدِينُ الَّذِي يُخَالَفُ تِلْكَ التَّوَصِيَّاتِ، وَيَعْمَلُ عَلَى فَهْمِ الدِّينِ بِاتِّبَاعِ الهَوَى وَمَا تُمْلِيهِ المَصْلَحَةُ لَا يَكُونُ تَعْبِيرًا صَادِقًا عَنِ الدِّينِ.